محطات من التاريخ السياسي والحضاري لمدينة فاس منذ النشأة إلى بداية عهد الحماية

Stations from the political and cultural history of Fez, from its inception to the beginning of the Protectorate

د. بن بوزيان عبد الرحمان[1]، جامعة 20 أوت 1955-سكيكدة، a.benbouziane@univ_skikda.dz

تاريخ الاستلام: 2020/10/21 تاريخ القبول: 2020/12/11 تاريخ النشر:2021/01/28

الملخص:

تحاول هذه الدراسة التعريف بإحدى الحواضر الإسلامية التي فاق إشعاعها العالم الإسلامي، وهي حاضرة فاس، -العاصمة السياسية الأولى للمغرب الأقصى-، وذلك من خلال الأحداث التاريخية التي شهدتها منذ نشأتها، عرفت خلالها متغيرات وتحولات ارتبطت كل الارتباط بالتطورات السياسية سواء داخل المغرب الأقصى أو المغرب الإسلامي وحتى العالم الإسلامي، كل ذلك جعل من هذه المدينة قبلة للعديد من القبائل والأقوام للاستقرار بها، وانعكس ذلك على نمطها العمراني بشكل بارز، ساهم في استقطاب العديد من العلماء والدارسين إليها على مر الفترات التاريخية، لتصبح الحاضرة الأولى لبلاد المغرب الأقصى، وعليه يمثل تاريخ هذه المدينة ما يعادل تاريخ دول لوحدها، كل ذلك جعلها تحضى باهتمام العديد من الباحثين والمؤرخين لغنى مجالات البحث فيها.

كلمات مفتاحية: المغرب الأقصى ؛ مدينة فاس ؛ جامع القرويين ؛ فاس الجديد .

Abstract:

This study tries to define one of the Islamic cities whose radiance exceeded the Islamic world, which is the metropolis of Fez - the first political capital of the Al-Aqsa Maghreb - through the historical events that it has witnessed since its inception, during which it has known variables and transformations that are all linked to political developments, whether within the Far Maghreb or Morocco The Islamic world and even the Islamic world, all this made this city a destination for many tribes and peoples to settle in, and this was reflected in its urban pattern in a prominent way, which contributed to attracting many scholars and scholars to it over the historical periods, to become the first metropolis of the countries of the Far Maghreb, and therefore it represents a history This city is equivalent to the history of countries alone, all of which made it attract the attention of many researchers and historians for the richness of its fields of research.

Keywords: Morocco ; Fez city ; Al-Qarawiyyin Mosque ;New Fez

1-المؤلف المرسل: عبدالرحمان بن بوزيان، a.benbouziane@univ_skikda.dz

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

1.مقدمة:

لكل حاضرة تاريخية من حواضر العالم الإسلامي إلّا ولها إشعاع حضاري مستمر، من الصعوبة بما كان تحديده وملامسته، لأنّه متشعب ومتداخل لا يعترف بالحدود الجغرافية ولا بالحدود السياسية المقيتة، فكانت الحواضر المغربية(فاس- مراكش-...) على مر تاريخها الثقافي والفكري وحتى السياسي من الحواضر المغربية الكبرى الأكثر ارتباطا بتاريخ المغرب والمشرق الإسلامين وذلك على حد السواء تأثيرا وتأثرا، وعليه ساهمت كثيرا الكيانات السياسية التي تعاقبت على حكم مدينة فاس في رسم معالمها الثقافية والحضارية، ورسم وجودها على الخريطة العلمية العالمية، باعتبارها مقر أول جامعة أنشئت في العالم ككل-جامعة القرويين-.

جاءت هذه الدراسة من أجل الوقوف على أبرز المحطات التاريخية البارزة التي عرفتها هذه المدينة، وإبراز مدى تأثر الثقافة والفكر بتلك المتغيرات، فرغم كثرة التآليف حول هذه المدينة قديما وحاضرا وفي ميادين مختلفة، إلا أني ارتأيت أن أجمع بين هذه المحطات الهامة في عمل شامل سيكون دون تأكيد دليلا تاريخيا وحضاريا للمهتمين بهذه الحاضرة.

2- قراءة في المجال التاريخي لمدينة فاس:

1.2-تسمية المدينة:

تعد مدينة فاس من أقدم مدن المغرب الأقصى[1]، وهي في الأصل مدينتان مسورتان مفترقتان بينهما نهر كبير، عدوة الأندلس وعدوة القرويين[2]، وكلاهما أصبح يطلق عليهما بـ "فاس البالي"، وذلك للتفرقة مع المدينة الجديدة الّتي بناها المرينيون الّتي سميت باسم "فاس الجديد"، سيأتي الحديث عنهما لاحقا، وقد اختلفت الروايات في سبب تسميتها بـ"فاس".

تذكر الرواية الأولى أنّ إدريس الثاني[3] الذي يقال أنّه أراد بناء حاضرة متميزة عن وليلي[4] الحاضرة الرومانية السابقة الّتي اعتمدها والده إدريس الأول كعاصمة لمملكته [5]، فذهب يبحث عن مكان فأعجبه، وعثر فيه على فأس من الذهب، فأطلق لفظ فاس على المدينة[6]، وفي نفس هذا الاتجاه تقريبا ذهب الحسن الوزان، حيث يذكر أنّه حين الشروع في حفر الأرض لبناء المدينة لإرساء أساسها عثر على كمية من الذهب تحمل بالعربية اسم فاس، وفي رواية أخرى أنّ المنطقة الّتي شرع البناء فيها كانت تحمل اسم "ساف" ومعناها بالبربرية النهر، فقلب اللفظ إلى فاس[7].

ويذكر الجزنائي أنّ إدريس لما شرع في حفر أساسها كان يحفر بواسطة فأس، ولكثرة ترديده كلمة فأس تم إطلاق اسم فاس على المدينة، لكن دون همزة، وفي رواية أخرى أنّه لما شرع في حفر الأساس صنع لإدريس فأس من الذهب[8]، وفي رواية أخرى أنّه أثناء الشروع في حفر الأساس سأل إدريس راهبا كان مستقرا بها، عن تسمية المكان، فأجابه بأنه كانت هناك مدينة قديمة من بناء الأوائل فخربت من قبل الإسلام بألف عام، وكان اسمها ساف، فأسماها إدريس بنفس الاسم مع قلب حروفه "فاس"[9].

غير أن الرأي الأرجح والذي أخذ به المؤرخون هو قلب كلمة "ساف" البربرية إلى فاس العربية، وذلك تكريما من إدريس للبربر الذين رحبوا به واستقبلوه استقبالا جيدا[10].

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

2.2- المجال الجغرافي:

تتميز مدينة فاس بموقع استراتيجي هام، فهي متوسطة بين مدن المغرب يعني الداخلة، تقع في مفترق الطرق، وجاء في معلمة المغرب أنّ مدينة فاس تعد الطريق السهل الرابط بين المغرب والجزائر[11]، تبلغ المسافة من مراكش وسبتة وسجلماسة وتلمسان عشرة أيام، وهي من حيث الطول عشر درجات وخمسون دقيقة، والعرض ثلاثة وثلاثون درجة، والمدينة لها ثلاثة عشر بابا، ويبدأ إقليم فاس من غرب نهر أبي الرقراق ويمتد شرقا إلى نهر إيناون، وينتهي بينهما شمالا عند نهر سبو، وجنوبا عند سفح الأطلس، وفاس كانت تسمى كرة السوس الأدنى[12]، ومن مدنها البصرة وزلول وسوق الكتامي وورغة وسبو وأزيلا وسبتة وبلد غمارة ومكناس وقلعة شميث، عرضها ثلاثون يوما بالسير المعتاد، وهي ذات عيون جارية، ويقال أنّ فيها أربع مائة عين سارحة، وهي تشبّه بدمشق وبغرناطة، وهي أكثر بلاد المغرب يهودا[13].

قال الشاعر يوسف بن النحوي البسكري الجزائري في وصفها:

يَا فَاسُ مِنْكِ جَمِيعُ الحُسْنْ المِسْتَرَقْ *** وَالسَاكِنُونَ أُهَنِّيهِمْ لَقَدْ رُزِقُوا

أَرْضٌ تَتَخَلَّلُهَا الأَنْهَارُ دَاخِلَهَا *** حَتَى المَجَالِسُ وَالأَسْوَاقُ وَالطُرُقْ[14]

3.2 –تطور المدينة من النشأة إلى توقيع الحماية:

حكم الأدارسة مدينة فاس 141 سنة هجرية (172هـ-313 هـ/ 788-925م)، وأهم ما يميز فاس خلال هذه الفترة من حكم الأدارسة هو بناء جامع القرويين[15] وجامع الأندلس[16].

دخلت المدينة بعد حكم الأدارسة في مرحلة من الفوضى واللا استقرار مع سيطرة البربر والفاطميين سنة 305هـ، فحاول عبيد الله المهدي السيطرة عليها ونشر المذهب الشيعي فيها، وتجنبا لذلك؛ بايع أهل فاس سنة 341هـ الناصر لدين الله الأموي في الأندلس[17]، ما أدى إلى غضب المعز لدين الله الفاطمي وخرج إليها ليضمها سنة 349هـ إلى ملكه، وبقيت على ذلك مدة ثلاثة عشر سنة بعدما استرجعها الخليفة الحاكم المستنصر الأموي سنة 363هـ، حيث ظلت خاضعة للأمويين مدة ست سنوات، حيث زحف عليها بلكين بن زيري بن مناد الصنهاجي واستردها من جديد، وبقيت على ملكهم إلى غاية سنة 375هـ[18].

وخلال الفترة ما بين 377-391هـ دخلت المدينة من جديد تحت سيطرة الأمويين في الأندلس، وخلال هذه الفترة انتقل إلى فاس العديد من قبائل مغراوة وزناتة، حيث عاد حكم فاس إليهم خلال الفترة 393هـ-462هـ إلى غاية قيام دولة المرابطين[19].

مع دخول المرابطين إلا بلاد المغرب الأقصى ستظهر مدينة جديدة ستكون حاضرة هي الأخرى ستنافس مدينة فاس سياسيا وثقافيا ألا وهي مدينة "مراكش"، الّتي أسسها سنة 454هـ يوسف بن تاشفين[20]، وبعد 12 سنة سيقوم بفرض سيطرة المرابطين على مدينة فاس، أين عمل على جمع المدينتين تحت سور واحد، استقرت خلالها قبائل لمتونة بذات المدينة[21].

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

جعل يوسف بن تاشفين من مدينة فاس قاعدة عسكرية يعتمد عليها في التحرك شرقا نحو تازة وملوية وتلمسان، بالرغم من أن المرابطين لم يتخذوا من مدينة فاس عاصمة لهم، إلا أنهم أسسوا قواعد جديدة لتنمية المدينة، كانت بمثابة نواة لنهضة علمية وحضارية سيبزغ إشعاعها بعد قرنين من الزمن مع تأسيس دولة بني مرين[22].

عرفت بلاد المغرب الإسلامي في تاريخها أول وحدة سياسية على عهد الموحدين، الّتي امتدت من برقة شرقا إلى المحيط الأطلسي غربا، ونحو بلاد الأندلس شمالا، وكان ذلك على يد قائدها عبد المؤمن بن علي الكومي[23]، حيث مثلت مدينة فاس إحدى المراكز العلمية الهامة في دولته، على الرغم من اتخاذهم لمدينة مراكش قاعدة لدولتهم، فالمصادر التاريخية تشير إلى دخوله إلى مدينة فاس سنة 540هـ[24].

مع بداية القرن الثالث عشر الميلادي عرفت مدينة فاس نشاطا قويا في كافة المجالات، عرفت فيه أوج ازدهارها ورقيها، خلال فترة حكم بنو مرين، حيث أضيفت لها مدينة ثالثة هي "فاس الجديد" -التي ستصبح مقرا لحكمهم-، الّتي شيدها السلطان المريني أبي يوسف يعقوب سنة 674هـ[25]، وقد دامت عملية بنائها سنة واحدة، وضمت هذه المدينة دارا للحكم، ومسجدا "الجامع الكبير" المعروف بـ"جامع الحمراء"، ومرافق عديدة حسب ما تتطلبه المدينة الإسلامية في ذلك العصر[26].

غير أن هذا النشاط قد اضمحل مع مجيئ بني الوطاس والسعديين[27]، وعلى الرغم من أن المدينة عانت على يد السعديين الذين نقلوا العاصمة إلى مراكش، فإنها ظلت تحظى ببعض عنايتهم، خاصة في عهد أشهر ملوكهم أحمد المنصور الذهبي[28]، إذ اتخذوها مدينة ثانية لهم أقاموا فيها بعض الأبراج[29]، إلا أن فاس لم تلبث في بداية العهد العلوي أيام المولى الرشيد[30] الذي دخلها سنة 1666م أن عاد إليها استقرارها، وأخذها قاعدة لحكمه[31]، وإن كان أخوه المولى إسماعيل[32] قد نقل العاصمة بعد ذلك إلى مكناس، حيث سرعان ما عاد عهد الفوضى إلى المدينة بعد وفاته، واستمر إلى غاية نهاية حكم المولى عبد الله عام 1757م[33].

تجدر الإشارة إلى أن حالة الاستقرار في مدينة فاس عادت من جديد في ظل السلطان محمد بن عبد الله (1757-1789)م[34]، ولم تستمر طويلا حيث عادت الاضطرابات إلى المدينة في عهد خلفه اليزيد (1789-1792)م، ليعود الاستقرار مرة أخرى في عهد السلطان

سليمان (1792-1823)[35].

شهد عهد تولي عبد الرحمان بن هشام الحكم (1823-1859) سقوط مدينة الجزائر سنة 1830، ومبايعة أهل تلمسان له بفاس لفترة وجيزة، فعمل على دعم ومساندة الأمير عبد القادر في بداية مقاومته للفرنسيين، غير أنّه انقلب عليه بضغط من الفرنسيين، وخاصة بعد الهزيمة في موقعة وادي إيسلي[36] في أوت 1844م، حيث حاربه وطارده من المناطق الشرقية للمغرب بعدما كان يتخذها كقواعد خلفية لمقاومته[37].

لقد أملت الضرورة على سلاطين المغرب بعد هزيمتهم هذه إلى القيام بالعديد من الاصلاحات خوفا من مصير مشابه لما آلت إليه الجزائر، فجميع الدلائل والمؤشرات كانت توحي بذلك، حيث عمل كل من السلطان محمد الرابع (1859-

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

1873)م والسلطان الحسن الأول (1873-1894)م على إدخال إصلاحات مهمة في الإدارة المغربية، غير أن المتغيرات على الساحة الدولية والإقليمية آنذاك، وقربه الجغرافي من أروبا، زيادة إلى حدة التنافس الألماني الفرنسي والإسباني حوله، كلها عوامل أدت إلى توقيع عقد الحماية على المغرب، وكان ذلك في مدينة فاس عام1330ه/1912م، في عهد السلطان عبد الحفيظ (1908-1912)م، وهو التاريخ الذي انتقلت فيه العاصمة إلى الرباط الّتي كانت مؤهلة لتصبح قاعدة المغرب الجديد، خلالها عرفت مدينة "فاس الجديد" تغيرات واضحة، فأصبحت مدينة مزدحمة مختلطة بالسكان، استقر بها الأروبيون واليهود، كما استقرت بها جالية جزائرية مهمة[38].

3-قراءة في المجال العمراني لمدينة فاس:

1.3-بناء المدينة:

يذكر صاحب كتاب سلوة الانفاس بأن بداية تأسيس مدينة فاس كان صبيحة يوم الخميس غرة ربيع الأول سنة 192ه[39]، وعند الشروع في بنائها رفع إدريس بن عبد الله يديه داعيا لها ولأهلها قائلا: "اللهم اجعلها دار علم وفقه، يتلى بها كتابك، وتقام فيها حدودك، واجعل أهلها متمسكين بالكتاب والسنة ما أبقيتها"[40]، وقد أسس "عدوة الأندلس" في المكان المعروف بجراوة، وأدار حولها بسور وبنى بها جامع الأشياخ[41]، وبعدها بسنة أسس "عدوة القرويين" في منطقة تعرف بالمقرمدة، حيث شرع في بنائها وأدار حولها سورا وبنى لها مسجدا بجوار إقامته سمي بـ"جامع الشرفاء"[42] وذلك في غرة ربيع الثاني سنة 193ه[43].

غير أنّه مع بداية ثلاثينيات القرن الماضي قدم المستشرق ليفي بروفنصال[44] تساؤلا عن المؤسس الحقيقي لهذه المدينة، مشككا في الروايات السابقة الّتي تداولها المؤرخون عبر العصور، حيث أرجع بناء المدينة الأولى –عدوة الأندلس-إلى إدريس الأكبر عام 172ه/789م[45]، أما تشييد المدينة الثانية-عدوة القرويين-فأرجعها إلى الابن إدريس الذي شيدها بعد مضي عشرين سنة (192ه/ 808م) عن تأسيس المدينة الأولى، وقد أخذ بهذا الطرح العديد من المؤرخين الغربيين وحتى المسلمين[46].

2.3-تعمير المدينة:

قام الإمام إدريس الثاني بتقسيم الأراضي المحيطة بالمدينة على قبائل العرب والبربر، فأنزل كل قبيلة بناحية، فنزلت العرب القيسية بجوار الأسوار الجنوبية من عدوة القرويين من باب أفريقية إلى باب الحديد، ونزلت الأزد بجوارهم، ونزل الحصيبيون على الجهة المقابلة للقيسية أي بإزاء الأسوار الشمالية، وقد وصلها عام 202ه/818 بعض من المهاجرين من قرطبة، ويذكر المؤرخون أنّ عددهم قدر حوالي 8000 بيت، ومنذئذ أخذت تسمية عدوة الأندلسيين، وبعد بضع سنوات جاءت عام 210ه/ 825م جماعة أخرى من المهاجرين السياسيين من القيروان لاجئة إلى فاس، حيث قدرت المصادر أعدادهم بـ300 أسرة، فأقامهم إدريس الثاني بالمدينة العالية، فأصبحت منذ ذلك الحين تحمل اسم "عدوة القرويين"[47]، أما قبائل البربر من صنهاجة ولواتة فلم تقف المصادر على تحديد مواقعها، واكتفت بالإشارة إلى أنّ كل قبيلة نزلت بناحيتها[48].

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وإلى جانب المسلمين من العرب والبربر، حوت المدينة أيضا أعدادا من اليهود، حيث أنزلهم إدريس الثاني بعدوة القرويين بناحية أغلان إلى باب حصن سعدون، حيث تملكوا البساتين والحوانيت، وقد رتبهم الإمام أحسن ترتيب في الإسكان[49].

لقد ظلت التعددية العرقية تتنامى في ظل عهود الاستقرار، مثل المرابطين والموحدين، أما في عهد بني مرين فأصبح التنوع السكاني ظاهرة اجتماعية سائدة، وبالرغم من ذلك إلا أنّ هذه الأعراق تعايشت فيما بينها إلى عهد مجيء الفرنسيين الذين غذوا بذور التفرقة.

3.3-المكانة التجارية:

يؤكد جل المؤرخين الذين تحدثوا عن مدينة فاس على نشاطها الصناعي ووفرة انتاجها وتنوعه وكثافته، ومن توسع عمراني ومن غنى اقتصادي بالرغم من عدم وجود إحصائيات دقيقة تؤكد على ذلك، فيتحدث الجزنائي الذي عاش في القرن الثامن للهجرة عن مكانة فاس التجارية والاقتصادية في عصر بني مرين[50]، حيث يذكر أنّها كانت مركزا لتجمع التجار من جميع البلدان والأقطار، فكانت فاس تقوم بدور العاصمة التجارية إلى جانب كونها العاصمة السياسية لبلاد المغرب الإسلامي[51].

تميزت مدينة فاس بتجارة واسعة مع سائر مدن الدولة المرينية، خاصة ما كان قريبا منها مثل تازة شرقا ومكناسة غربا، وحتى تلك المدن الّتي تبعد عنها مثل سلا ومراكش، حيث كانت أسواق هذه المدن تحرص على ما تنتجه فاس من كميات الّتي تحتاجها الطبقة المتوسطة من الأقمشة والأحذية[52].

كانت مدينة فاس وإلى غاية القرن 16م ممرا للقوافل التجارية القادمة من جنوب الصحراء من سجلماسة وتافيلالت، ومدن ممالك بلاد السودان الغربي كغاو وجني وتمبوكتو، وبذلك كانت تمثل همزة وصل مع بلاد الأندلس، وكان هذا الطريق التجاري معروفا ومشهورا بمرور الذهب وريش النعام، والملح والعبيد نحو الأندلس ثم أروبا، غير أنّها سرعان ما فقدت هذه المكانة مع ظهور السيطرة الإسبانية والبرتغالية على جميع الطرق التجارية الّتي تحولت من البر نحو المحيط الأطلسي[53].

4- المكانة العلمية والثقافية لمدينة فاس:

تجمع المصادر التاريخية وكتب التراجم المحلية –المغربية- والأجنبية على أنّ فاس هي الحاضرة الأولى لبلاد المغرب الأقصى، والّتي يرجع تاريخ وجودها إلى نحو أكثر من ثلاثة عشر قرنا، تمكنت من خلالها أن تكون فاس العاصمة الروحية والعلمية الأولى للمغرب، وكان جامع القرويين على مر فتراتها التاريخية قلبها النابض.

جاء في كتاب "سلوة الأنفاس": "فاس مركز العلم والثقافة والحضارة بالمغرب الإسلامي عموما، وعرين زعمائه وساسته على مر الحقب والأزمان[54]، وعاصمة ملكه وممالكه... وجامعة القرويين... نبراس المغرب الخفاق، وآلة صنع أطره العلمية بمختلف ألوانها، لذلك كانت الأعين متجهة إليها، والأقلام متحفزة لتدوين مزاياها ومباهجها.." [55].

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

عُرفت مدينة فاس بعدة أوصاف، فوصفت بـ"المدينة المقدسة"[56]، ووصف جامعها بـ"الجامع المقدس[57]، كما وصفت بـ"عاصمة العلم والعرفان[58]، وفي وصف آخر بـ"أثينا المغرب"[59]، وفي آخر بـ"العاصمة الخالدة، عاصمة الشرف والعلم"[60]، قال عنها ابن عبد القادر العربي المشرفي المعسكري في مدحه لسلطان المغرب زيد بن هشام في قصيدة جيمية جاء في مطلعها:

إنّ المَلِيحَة فاس لا يُقَاسُ بها *** إيوانُ كِسْرَى ولا صَرحٌ لذي سُرُجِ[61]

مرت العاصمة التاريخية للمغرب الأقصى بأدوار مختلفة رسمت من خلالها معالمها كحاضرة علمية، جلبت أنظار واهتمام علماء وطلبة الجزائر وحتى بلاد المشرق، وفيما سيأتي سأقف على أبرز محطاتها العلمية والفكرية[62].

1.4-عهد الأدارسة: 780-974م

تتفق المصادر التاريخية المتعلقة بتاريخ المغرب على أنّ أهم حدث لمدينة فاس في فترة حكم الادارسة الّتي بلغت حوالي 141 سنة هجرية هو بناء جامع القرويين، وقد تناولت أربعة مصادر تاريخية مغربية بناء جامع القرويين بالتفصيل[63]، ويرجع الفضل في بناءه وتأسيسه إلى فاطمة بنت محمد الفهري[64] في فاتح رمضان عام 245هـ / 30نوفمبر 859م[65]، وقدرت المصادر التاريخية طوله بحوالي 150 شبرا أي ما يقدر بـ35 م، وقدرت مساحته بأربع بلاطات في كل بلاطة اثنا عشر قوسا[66]، هذا ولم تذكر المصادر التاريخية متى تم الانتهاء من بنائه، ولم يتم نقل الخطبة إليه إلّا في سنة 321هـ/933م بعدما ضاق جامع الشرفاء على المصلين[67].

2.4-عهد المرابطين والموحدين:

اعتنى سلاطين المرابطين(1073-1147م) بالحياة العلمية في فاس، فأسسوا عدة مدارس إسلامية لتلقين المعارف، ودشنوا الجوامع الدينية لتدريس العلوم الشرعية والفقهية، كما عملوا على عهد يوسف بن تاشفين في تشييد عدة مساجد في أحياء المدينة، ويرجع له الفضل أيضا في توسعة جامع القرويين بعدما ضاق بالمصلين، حيث أمر بشراء الأملاك المجاورة للجامع، وأضاف له عشر بلاطات من صحنه إلى قبلته بأعلى المحراب، وأضاف

له بابا آخرا هو "الباب الأكبر" بسماط الموثقين[68].

ونجد في عهد الموحدين(1147-1269م) اهتماما بجامع الأندلس يفوق جامع القرويين، حيث بنى بابه الكبير، وصنع بأعلاه قبتين أحدهما مصنوعة من خشب الأرز[69].

3.4-العهد المريني: 1258-1420م

تعد الفترة الأكثر ازدهارا ورقيا، لم تعرفه مدينة فاس من ذي قبل، بلغت في عهدهم العلوم العقلية ذروتها، ويعود ذلك بالأساس إلى اهتمام وتقريب السلاطين للعلماء والفقهاء لمجالسهم، وهذا هو السبب الّذي كان وراء هجرة كبار العلماء من الأندلس والمغربين الأدنى والأوسط إليها،[70]. فزارها لسان الدين بن الخطيب(1359-1362م) صاحب كتاب "الإحاطة"، كما استقر بها عبد الرحمن بن خلدون(1332-1406م) صاحب كتاب "العبر"[71].

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ما يميز هذه الفترة أكثر هو كثرة تشييد المدارس العليا والمساجد، والاهتمام بعمرانها وزخرفتها، حيث يذكر في هذا الصدد "الحسن الوزان" إنّه كان: "في فاس إحدى عشرة مدرسة للطلاب جيدة البناء كثيرة الزخرف بالزليج والخشب المنقوش، بعضها مبلّط بالرخام، وبعظها بالخزف المايورقي، وتحتوي كل مدرسة على عدة حجر، في هذه مائة حجرة أو أكثر، وفي تلك أقل من هذا العدد،.. وتمتاز إحدى هذه المدارس –المدرسة البوعنانية- بروعة فائقة سعة وجمالا، وهي من بناء السلطان أبي عنان المريني.."[72]، وبذلك مثلت هذه المدارس أبلغ دليل على روعة العمارة المرينية، وقد أعطى السلاطين لهذه المدارس مفهوما جديدا، حيث لم تكن في المغرب قبل العصر المريني مدارس للتعليم العالي المتخصص، وإنما كان العلماء المدرسون يلقون دروسهم في المساجد[73]، ومن أهم هذه المدارس:

-**مدرسة الصفارين**: هي أم المدارس المرينية، شيدها سلاطين بنو مرين، تقع بين جامع القرويين والوادي، ومؤسسها هو أبو يوسف يعقوب بن عبد الحق 670هـ/1271م مؤسس فاس الجديد[74]، كانت تسمى أولا بمدرسة الحلفاويين ثم فتحت أبوابها سنة 567هـ1276م[75]، فأصبحت تعرف بهذا الاسم أي الصفارية حينما نقل إلى جوارها سوق الصفاريين[76]، وزودت المدرسة بخزانة كتب كبيرة وردت إليها من الأندلس[77].

-**المدرسة المصباحية**: قام ببنائها السلطان أبو سعيد المريني بجوار جامع القرويين، وسميت بالمصباحية نسبة لأبي ضياء مصباح بن عبد الله الياصلوتي، وهو أول من عين للتدريس بها، وتحتوي هذه المدرسة على مائة وسبع عشرة غرفة[78].

-**مدرسة العطارين**: بنيت سنة 723هـ/1323م قرب جامع القرويين في عهد السلطان أبو سعيد عثمان بن يعقوب بن عبد الحق المريني، واكتمل بنائها سنة 725هـ/ 1325م، وهي من أروع ما شيده سلاطين المغرب آنذاك، واستمر نشاطها إلى عهد السعديين[79].

-**المدرسة العنانية**: أو المتوكلية، أمر ببنائها السلطان أبي عنان فارس الملقب بالمتوكل على الله سنة 750هـ/1349م، والّتي تعتبر قمة الفن المعماري المريني، لأنّ الآثار المعمارية السابقة كانت لا تزال تحث تأثير الفن الموحدي الّذي يمتاز بالبساطة، والبعد عن كثرة الزخارف. استغرق بناء هذه المدرسة سبع سنين، تمتاز المدرسة العنانية بصحن فسيح مغطى بالرخام الأبيض أو الوردي وبالجزع، وكسيت جوانبه بالفسيفساء وفتحت نوافذه بزخارف من الجص[80]، وأمر أبو عنان بأن تقام أمام مدرسته" ساعة" لمعرفة الأوقات قام بصناعتها أبو الحسن علي بن أحمد التلمساني 758هـ/1356م[81].

تميز هذا العهد أيضا بالاهتمام بجامع القرويين، حيث كان المرء يشاهد كراسي مختلفة الأشكال[82] يدرس عليها العديد من العلماء الأساتذة، حيث يلقون على الناس دروسا تتعلق بأمور الدين والشريعة، تبتدئ هذه الدروس بعد الفجر بقليل، وتنتهي بعد ساعة من شروق الشمس[83]، إضافة إلى ذلك عرف هذا العهد إنشاء خزانة جامع القرويين وما تتضمنه من ذخائر ونفائس، وهي من تأسيس السلطان المريني أبي عنان سنة 750هـ/1349م، كما ساهم توافد العلماء من الأندلس في تفعيل حركيتها الثقافية والعلمية، فازدهرت بها وتطورت مختلف العلوم العقلية والنقلية[84].

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

4.4- العهد الوطاسي (1420-1547م) والسعدي (1554-1659م):

استمر ذلك الازدهار العلمي والثقافي للمدينة خلال فترة حكم الوطاسيين، وقد وقف عليه الحسن الوزان المتوفي سنة 1549م، حيث خص الحياة العلمية والثقافية بالمدينة بوصف دقيق ومطول، لكن في الحقيقة ما هو إلّا استمرارية لمخلفات وآثار سلاطين بنو مرين[85]، واستفادت المدينة بذلك من هجرة علماء الأندلس المهجرين الّذين استقروا بها، كما استفادت أيضا كثيرا خلال هذه الفترة من هجرة علماء المغرب الأوسط خاصة من تلمسان ووهران، حيث كانت الهجرة الكبرى لعلماء تلمسان سنة 961هـ/ 1554م[86].

مرت فاس بعدها بأيام قلّ فيه إشعاعها ما بين 1578-1603م، بالرغم من كونها فترة حكم المنصور الذهبي، والّذي حاول إعادة بعث الحياة العلمية من جديد[87]، وله أعمال جليلة في ذلك، حيث أقام خصة من المرمر عند قدم صومعة جامع القرويين، كما أمر ببناء قاعة جديدة لخزانة الجامعة، مستقلة عن الجامع بمدرسة الصفارين، وعمّرها بالكتب النفيسة الّتي أوقفها عليها، وتعد خزانة المنصور الخزانة الرسمية لجامع القرويين[88].

عرفت فاس بعد حكم المنصور الذهبي وإلى غاية سنة1664م الفتن والأهوال[89]، فعموم هذه المرحلة تميز بالفوضى وعدم الاستقرار، وكثرة الحروب الداخلية، حتى وصل بالعدوتين إلى الاقتتال بينهما، وذلك ما أثر كثيرا على الحياة العلمية والثقافية، بل وصل الحد إلى توقف الخطبة بجامع القرويين[90]، وانقطاع الآذان منه لمدة فاقت الثلاثة أشهر، وكان ذلك سنة 1640م[91]، ليصح وصف هذه المرحلة في تاريخ المدينة بـ"ليالي فاس القاتمة"[92].

5.4-عهد العلويين إلى توقيع الحماية: 1666- 1912م

لم تلبث فاس في بداية العهد العلوي أيام المولى الرشيد[93] أن عاد إليها استقرارها، وسابق تألقها الثقافي والحضاري، خاصة بعدما أصبحت قاعدة للحكم في عهده، فحاول بعث الحياة العلمية والفكرية بالمدينة، وأهم عمل أنجزه هو بنائه لمدرسة الشّرّاطين عام 1670م[94]، الّتي تعد أكبر مدارس فاس إلى ذلك الوقت، كما قام خلفه أخوه الأصغر بعده بتجديد وتوسيع ضريح مولاي إدريس [95].

عرفت فاس مع تولي السلطان محمد بن عبد الله (1757-1790)م نهضة علمية، حيث أبدى عناية بمدينة فاس عاصمة ملكه، حاول إصلاح التعليم بجامع القرويين، وشيد بها عدة مساجد، أهمها جامع الرصيف، كما أدخل تعديلات وتحسينات على بعض المدارس منها مدرسة باب عجيسة والمدرسة البوعنانية[96].

لقد كان لسقوط مدينة الجزائر في يد الفرنسيين عام 1830م في عهد السلطان عبد الرحمان بن هشام (1823-1859)[97] الأثر الكبير على المغرب الأقصى، أين أصبح معزولا وبذلك انقطعت صلته مع المشرق، وما زاد ذلك هو هزيمة معركة إيسلي 1844م أمام الفرنسيين، هذه العوامل أبانت عن مدى تخلف وتقهقر المغرب على جميع الأصعدة[98].

أمام ذلك الوضع دأب السلاطين العلويين بالمغرب إلى الإسراع في القيام بإصلاحات جديدة، فعملوا على إصلاح التعليم، وتشجيع الحركة العلمية والفكرية، وإرسال البعثات العلمية إلى الخارج خاصة في عهد السلطان محمد الرابع(1859-1873)م، حيث كان من نتائج هذه البعثات إدخال أول مطبعة حجرية عام 1864م إلى المغرب[99]، وكان من

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

نتاج ذلك أيضا بروز حركة الاصلاح الديني المتمثلة في السلفية خلال عهد السلطان الحسن الأول والسلطان عبد الحفيظ[100].

5. خاتمة:

أدى تعاقب السلالات الحاكمة على مدينة فاس إلى تشكل فسيفساء ثقافي وحضاري مكن سلاطين وملوك المغرب الأقصى من الاستفادة منه وتوظيفه، فبالرغم من تحول العاصمة السياسية إلى مدينة الرباط فإن المخيال الشعبي الذي توارثته الأجيال لازال يعتز بمدينة فاس كونها العاصمة التاريخية والسياسية والروحية الأولى للمغرب الأقصى، وعليه فإن هذه المدينة ساهمت بشكل كبير في رسم معالم الصورة الثقافية والحضارية للمغرب الأقصى قديما وحديثا.

6.الهوامش(الإحالات):

[1]- يرتبط ظهور مصطلح "المغرب" مع ظهور الإسلام، وكان في أول الأمر يطلق على المنطقة الواقعة جغرافيا غرب الإسكندرية، وفي أواخر فترة التاريخ الوسيط أصبح يطلق تجزئة على بلدان تونس -المغرب الأدنى- والجزائر -المغرب الأوسط- والمغرب الأقصى، وخلال الفترة الحديثة أصبح المغرب الأقصى الحالي يلقب عند العثمانيين بمملكة فاس، وفي أدبيات الحركة الوطنية المغربية كان يستعمل مصطلح "مملكة مراكش"، وبعد استرجاع سيادته أخذ تسميته بـ"المغرب الأقصى"، ليبقى استعمال مصطلح "المغرب العربي" شاملا لكل دوله، وهي: موريطانيا، المغرب الأقصى، الجزائر، تونس، ليبيا. ينظر: الجمعية المغربية للتأليف والترجمة والنشر، معلمة المغرب، م19، نشر مطابع سلا، المغرب، 2004، ص6395. وكذلك: م21، 2005، ص5170.

[2]- القرويين تصغير لكلمة القيروانيين، نسبة إلى القيروان في تونس، الّتي أتت منها بعض العائلات واستقرت في المدينة الّتي بناها إدريس الثاني، ومنها سيأخذ الجامع الذي بنته فاطمة الفهرية اسم جامع القرويين. للتفصيل أكثر ينظر: عبد الهادي التازي، "تاريخ جامعة القرويين المعماري والفكري"، من كتاب جامعة القرويين وآفاق إشعاعها الديني والثقافي، مطبعة فضالة، المحمدية-المغرب، 1996، ص69-70.

[3]- إدريس الثاني (الأزهر): ولد سنة 177هـ- بعد ثلاثة أشهر من اغتيال والده-من جارية بربرية اسمها كنزة، وقد تربى وتعلم في كنف المولى رشيد، الذي حفظه القرآن في ثمانية أعوام، وتمت مبايعته وهو ابن إحدى عشرة سنة وخمسة أشهر، والحقيقة أنه لم يباشر شؤون الدولة إلا بعد سنة 190 هـ، عرفت الدولة في عهد حكمه قوة واتساعا، حتى وصلت إلى غاية تلمسان، اغتيل وعمره لم يتجاوز 36 سنة أي في سنة 213هـ. للمزيد من التفصيل ينظر: محمد العربي العزوزي الفاسي، أعلام مدينة فاس المسمى بالأنس والاستئناس، ج1، د.د.ن، 1954، ص24-31.

[4]- وليلي (فوليبليس): تقع على بعد 60كلم غرب مدينة فاس، مدينة بناها الرومان، حملت عدة تسميات رومانية مختلفة، غير أنّ التسمية الّتي فرضت نفسها هي Volubilis، والتي يرجح أنّ أصلها بربريا تمت رومنتها، وقد أخذت اسمها العربي "وليلي" والتي هي مشتقة من المصطلح البربري "أليلي" الذي يشير إلى الدفلة الوردية الّتي كانت تنبت بها بكثرة، وقد استقر بها إدريس الأول إذ جعل منها عاصمة مملكته في القرن الثامن الميلادي. ينظر: معلمة المغرب، المرجع السابق، م22، ص7621-7623.

[5]- توجه إدريس بن عبدالله بن حسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب- رضي الله عنهم- نحو المغرب بعد موقعة "فخ" في 18 ذي الحجة 169هـ، بعدما خرج الحسين بن علي بن الحسن بن الحسن بن علي أبي طالب على الخليفة العباسي الهادي(169-170هـ) قاصدا الإمارة بالمدينة واستولى عليها، فسير له الخليفة العباسي جيشا بقيادة عمه العباس بن محمد فالتقوا بالقرب من مكة على بعد ثلاثة أميال من وادي "فخ"، انتهت بقتل الحسين، وفرار إدريس بن عبد الله إلى بلاد المغرب أين أنشأ قاعدة مملكته. للمزيد حول الموضوع ينظر: علي السنوسي الخطابي، الدرر السنية في أخبار السلالة الإدريسية، مطبعة الشباب، مصر، 1930، ص42.

[6]- معلمة المغرب، المرجع السابق، م19، ص6395.

[7]- الحسن بن محمد الوزان الفاسي، وصف افريقيا، تر: محمد حجي ومحمد الأخضر، ج1، ط2، دار الغرب الإسلامي، لبنان، 1983، ص218-119.

[8]- أبو الحسن علي الجزنائي، جني زهرة الآس في بناء مدينة فاس، تح: عبد الوهاب ابن منصور، ط2، المطبعة الملكية، الرباط، 1991، ص18.

[9]- أبو الحسن علي بن عبد الله الفاسي ابن أبي زرع، الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، دار المنصور للطباعة والوراقة، الرباط، 1972، ص49.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

[10]- علي محمود عبد اللطيف الجندي، مدينة فاس في عصر المرابطين والموحدين، رسالة دكتوراه، ، كلية اللغة العربية بالقاهرة، مصر، 2004، ص51.

[11]- معلمة المغرب، م19...، المرجع السابق، ص6395.

[12]- شمس الدين أبي عبد الله محمد المقدسي، كتاب أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، ط2، دار صادر، بيروت، طبع في مطبعة ليدن المحروسة بمطبعة بريل-هولندة، 1906، ص230.

[13]- أبو عبيد الله بن عبد العزيز البكـري، المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب وهو جزء من كتاب المسالك والممالك، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، د.ت، ص101.

[14]- ابن أبي زرع، المصدر السابق، ص34.

[15]-للاستزادة أكثر ينظر: محمد عبد الحي الكتاني، ماضي القرويين ومستقبلها، تع: عبد المجيد بوخاري، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، 2006.

[16]- جامع الأندلس: أقيم سنة 245هـ على يد مريم بنت محمد الفهري، بعدما اشترت أرضا، وقد ساعدها في بنائه مجموعة من الأندلسيين المقيمين بهذه العدوة والتي سميت باسمهم، ويتكون هذا الجامع من ست بلاطات ولع صحن صغير مصنوع من الخشب، وقد عرف هذا الجامع عدة إضافات في عهد الناصر لدين الله الذي فرض سيطرته على بلاد المغرب سنة 345هـ، ونقلت الخطبة إليه من جامع الأشياخ سنة 321هـ. للتفصيل أكثر ينظر: الجزنائي، المصدر السابق، ص81.

[17]- نفسه، ص36.

[18]- عبد اللطيف الجندي، المرجع السابق، ص115-116.

[19]- أحمد بن خالد الناصري، كتاب الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، تح: جعفر الناصري ومحمد الناصري، ج1، د.د.ن، الدار البيضاء، 1954، ص193.

[20]- أصله أمازيغي من قبائل صنهاجة الصحراوية، ازداد سنة 1010م، حكم ما بين 1069و1106م، يعتبر هو المؤسس الحقيقي للدولة المرابطية وباني عاصمتها مراكش سنة 1070م. ينظر: أحمد ابن القاضي المكناسي، جذوة الاقتباس في ذكر من حل من الأعلام مدينة فاس، ج1، دار المنصور للطباعة والوراقة، الرباط، 1973، ص545.

[21]- أبو العباس بن محمّد ابن عـذارى، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، تح: ج، س، كولان وليفي بروفنسال، ج4، دار الثقافة، لبنان، د.ت، ص28.

[22]- ابن القاضي، المصدر السابق، ص50.

[23]- عبد المؤمن بن علي: ولد بجبل تاجرة-بين دائرتي هنين وندرومة حاليا التابعتين إداريا لولاية تلمسان- ينتمي إلى قبيلة الكومية، وهي بطن من بطون زناتة، تلقب بأمير المؤمنين، كان عاملا حازما سديد الرأي حسن السياسية للأمور، جمع الناس على مذهب مالك، وكان الغالب على مجلسه أهل العلم والدين، وهو أول خلفاء الموحدين، كانت ولايته بعد وفاة المهدي بن تومرت سنة 524هـ. ينظر: مجهول، الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية، تح: سهيل زكار، عبد القادر رزمامة، دار الرشاد الحديثة، الدار البيضاء، المغرب، 1979، ص117.

[24]- السلاوي، المصدر السابق، ج2، ص96-97.

[25]- فاس الجديدة أو المدينة البيضاء: هذه المدينة أمر ببنائها السلطان يعقوب بن عبد الحق سنة674هـ/ 1275م بعد عودته من عبوره الأول إلى بلاد الأندلس وبذكر ابن خلدون أن سبب بناء هذه المدينة يرجع إلى اتساع نطاق الدولة المرينية، وكثرة الوافدين على السلطان المريني فرأى السلطان يعقوب " أن يختط بلدا يتميز بسكناه في حاشيته وأهل خدمته وأوليائه". ينظر: إسماعيل ابن الأحمـر، روضة النسرين في دولة بني مرين، تح: عبد الوهاب ابن منصور، ط3، المطبعة الملكية، الرباط، 2003، ص20.

[26]- محمد المنوني، ورقات عن حضارة المرينيين، ط3، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، 2000، ص23-50.

[27]- كان حكم الوطاسيين للمغرب ما بين 1492-1550م، وجاء بعدهم السعديين بين 1554- 1659، وهي سلالة نزحت إلى جنوب المغرب من الحجاز، قضوا على دولة الوطاسيين في سنة 1557وقادوا حركة تحرير واسعة النطاق ضد الغزاة البرتغاليين وكان من أشهر حكامهم محمد الشيخ ومولاي عبد الله وأحمد المنصور. للتفصيل أكثر ينظر: عبد الكريم كريم، المغرب في عهد الدولة السعدية، ط3، منشورات المؤرخين المغاربة، الرباط-المغرب، 2006.

[28]- أحمد المنصور: 1549- 1603، يعد أشهر ملوك السعديين بالمغرب بين 1578- 1603م، عرفت البلاد في عهده أبهى وأزهى حكم لها، جمع في حكمه بين الطابعين العلمي والعسكري. ينظر: محمد الصغير بن الحاج بن عبد الله الوفراني النجّار، نزهة الحادي بأخبار ملوك القرن الحادي، تر: هوداس، طبع على الحروف بمطبعة آنجي، باريس، 1888، ص157.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

[29]- محمد بن الطيب القادري، نشر المثاني لأهل القرن الحادي عشر والثاني، ج1، تح: محمد حجي، أحمد التوفيق، مطبوعات دار المغرب للتأليف والترجمة والنشر، الرباط-المغرب، 1977، ص367.

[30]- مؤسس الدولة العلوية (1666- إلى اليوم) بويع بعد مقتل أخيه محمد بن الشريف عام 1075هـ/1664م، توفي سنة 1082هـ/1671م. ينظر: الوفراني، المصدر السابق، ص201-202.

[31]- محمد بن محمد بن مصطفى المشرفي، الحلل البهية في ملوك الدولة العلوية وعد بعض مفاخرها غير المتناهية، تح: إدريس بوهليلة، ج1، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المغرب، 2005، ص 267. وكذلك: الوفراني، المصدر السابق، ص201-202.

[32]- بويع بعد وفاة أخيه الرشيد عام 1672م، وتوفي عام1139هـ/1726م. ينظر: القادري، المصدر السابق، ج2، ص197.

[33]- نفسه، ص305.

[34]- بويع بعد وفاة والده عبد الله بن إسماعيل سنة 1171هـ/ 1757م، وتوفي عام 1204هـ/1790. ينظر: المشرفي، المصدر السابق، ج2، ص13.

[35]- المشرفي، المصدر السابق، ج2، ص37-52.

[36] - يدعى وادي إيسلي يمر قرب مدينة وجدة شمال شرق المغرب الأقصى، على الحدود الجزائرية المغربية، ورغم قصر مجراه، فإنّه يحمل أسماء مختلفة، فهو واد "إيسلي" حول وجدة، وواد "بورايا" حول مغنية، وأما شمال شرق مغنية فهو وادي "المويلح"، ويتصل هذا الوادي في مصبه مع نهر التافنة. ينظر: معلمة المغرب، المرجع السابق، ج2، ص438-441.

[37]- محمد بن عبد القادر، تحفة الزائر في مآثر الامير عبد القادر وأخبار الجزائر، ج1، المطبعة التجارية-الإسكندرية-مصر، 1903، ص321-326.

[38] - روجيه لوطورنو، فاس قبل الحماية، ج1، تر: محمد حجي، محمد الأخضر، دار الغرب الإسلامي، لبنان، 1992، ص277.

[39]- أبي عبد الله محمد بن جعفر بن إدريس الكتاني، سلوة الأنفاس ومحادثة الأكياس بمن أقبر من العلماء والصلحاء بفاس، ج1، تح: عبد الله الكامل الكتاني، حمزة بن محمد الطيب الكتاني، محمد حمزة بن علي الكتاني، دار الثقافة، الدار البيضاء-المغرب-، 2004، ص73.

[40]- أنظر نص الخطبة كاملا في: عبد الله كنون، النبوغ المغربي في الأدب العربي، ج2، ط2، طبع على الحروف، تطوان، 1960، ص349.

[41]- جامع الأشياخ: هو الجامع العتيق لمدينة فاس، وهو المعروف اليوم بجامع النوار، يقع في أعلى عقبة الصفاح من حومة جراوة.

[42]- جامع الشرفاء (الأشراف): يقع قرب ضريح المولى إدريس بعدوة القرويين بفاس. ينظر: معلمة المغرب، م9، المرجع السابق، 1998، ص2863.

[43]- علي السنوسي الخطابي، المرجع السابق، ص73.

[44]- ليفي بروفنسال 1894-1956م Lévi-Provençal: من مواليد الجزائر، تحصل على شهادة الليسانس من كلية الآداب فيها سنة 1913، وبعد نهاية الحرب العالمية الأولى انتدبه ليوطي للعمل في معهد الدراسات المغربية في الرباط وعين أستاذا فيه، ثم مديرا له ما بين 1926-1935، خلالها قدم رسالة الدكتوراه بعنوان: "مؤرخو الشرفاء"، انتدب خلالها أيضا للتدريس بجامعة الجزائر سنة 1928، حيث عين أستاذا لتاريخ العرب والحضارة الإسلامية، وفي سنة 1938 دعته جامعة القاهرة كأستاذ زائر، له عدة أعمال حول تاريخ المغرب والأندلس. للتفصيل أكثر ينظر: نجيب العقيقي، المستشرقون-موسوعة في تراث العرب، مع تراجم المستشرقين ودراساتهم عنه، منذ ألف عام حتى اليوم-، ج1، ط3، دار المعارف، مصر، 1964، ص 275-281.

[45]- بعدما استقر المقام بإدريس بن إدريس في مدينة وليلي وبعد استراحة جيشه توجه إلى المغرب الأوسط أين وقع اختياره على مدينة تلمسان، فدخلها صلحا وأمن أهلها، وبنى بها مسجدا وأتقنه وصنع فيه منبرا وكتب عليه: "بسم الله الرحمن الرحيم هذا ما أمر به إدريس بن عبد الله بن حسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم وذلك في شهر صفر سنة أربع وسبعين ومائة"، ولازالت بعض آثار المسجد قائمة إلى يومنا هذا في منطقة أغادير من مدينة تلمسان. للمزيد ينظر: أحمد بن خالد الناصري، المصدر السابق، ج1، ص142، وكذلك: المهدي البوعبدلي، الحياة الثقافية بالجزائر-الأعمال الكاملة للشيخ المهدي البوعبدلي-، جمع: عبد الرحمان دويب، عالم المعرفة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2012، ص13.

[46]- محمد حجي، "قضايا في سيرة إدريس الأزهر وتأسيس مدينة فاس"، من كتاب متنوعات محمد حجي، نشر بمناسبة صدور موسوعة أعلام المغرب، دار الغرب الإسلامي، لبنان، 1998، ص 179-183.

[47]- ابن أبي زرع الفاسي، المصدر السابق، ص30.

[48]- نفسه، ص31.

[49]- حول الحياة الاجتماعية لليهود بفاس وعلاقتهم التاريخية مع مسلمي المدينة ينظر: عائلة ابن دنان الغرناطية الفاسية، كتاب التواريخ أو تاريخ فاس، تر: عبد العزيز شهبر، ط2، مطبعة الخليج العربي، تطوان، 2007، ص11-20.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

[50]- تقول الفكرة الشائعة عند كثير من المؤرخين أنّ ازدهار الحضارة المغربية وحصول الغنى والنعيم في بعض العواصم، مثل ، فاس، مراكش، يرجع في أغلبه إلى المبادلات مع بلاد السودان، وكان الذهب المتدفق على هذه المدن على يد التجار، سببا في البناء المحلي وتدفق الأموال على الدول المغربية بما كانت تفرضه من جباية على هذا النوع من التجارة، ويكون الانحطاط الاقتصادي بالدرجة الأولى راجع إلى انقطاع طريق الذهب، إذ أنّ تجارة هذا المعدن تحولت عن شمال الصحراء إلى سواحل غينيا، بعد أنّ أخذت الملاحة البرتغالية مبادرة الاتصال المباشر في هذه النواحي، وما كادت تتحول الطرق التقليدية للذهب حتى انكمشت التجارة المغربية على نفسها، وأصبحت تقنع بالحقول الضعيفة للمبادلات، هذا هو سر الانحطاط السياسي ثم الثقافي الذي عرفه المغرب الإسلامي ابتداء من القرن الرابع عشر الميلادي، ومن أجل هذه الاعتبارات يرى عبد المجيد مزيان أنّ المبادلات مع السودانيين كانت بقدر كبير من الأهمية حتى تخلق التيار الاقتصادي الأساسي المكون للحضارة المغربية، بل نعتقد أنّ هذا الطريق لم يكن إلا بمثابة شريان تجاري. ينظر: عبد المجيد مزيان، النظريات الاقتصادية عند ابن خلدون، المؤسسة الوطنية للاتصال والنشر والإشهار، الجزائر، 2001، ص105-108.

[51]- أبو الحسن علي الجزنائي، المصدر السابق، ص29.

[52]- روجيه لوطورنو، المرجع السابق، ص138.

[53]- حسن القرنفل، "النشاط التجاري في مدينة فاس في القرن 19"، أعمال ندوة التجارة في علاقتها بالمجتمع والدولة في تاريخ المغرب، ج2، جامعة الحسن الثاني، الدار البيضاء-المغرب، 1989، ص49-47.

[54] - إنّ السلطنة في المغرب ذات مبدأ اختياري، فيتوجب على السلطان أن يبايع من قبل جماعة علماء فاس، على شرط أن يكون من عائلة قريشية شريفة، أي من عائلة الرسول صلى الله وعليه وسلم، وعليه فمنذ مبايعة السلطان عبد الرحمان بن هشام عام 1822م فإنّ العلماء كانوا دائما يوافقون على مبايعة الملك المعين المختار. ينظر: إسلام مدني، "مساهمة في دراسة مشاكل شمال إفريقيا"، كتاب "الفتى المسلم"- لسان حال جمعية العلماء المسلمين الجزائريين 1952-1954م-، تر: محمد المعراجي، وعمر المعراجي، ج1، ط2، منشورات ثالة، الجزائر، 2013، ص459.

[55] -محمد بن جعفر الكتاني، المرجع السابق، ج1، ص3.

[56]- هذا الوصف للرحالة أندري شوفريون (1864-1957) الّذي زارها في بدايات القرن الماضي. ينظر: أندري شوفريون، رحلة إلى المغرب، تر: فريد الزاهي، هيئة أبو ظبي للثقافة والتراث، الإمارات العربية المتحدة، 2010، ص57.

[57]- أندري شوفريون، المصدر السابق، ص160.

[58]- محمد محي الدين المشرفي، إفريقيا الشمالية في العصر القديم، ط4، دار الكتب العربية، لبنان، 1969، ص16.

[59]- الحسن السائح، الحضارة الإسلامية في المغرب، ط2، دار الثقافة للنشر والتوزيع، الدار البيضاء-المغرب، 1986، ص 256.

[60]- محمد الفاضل بن عاشور، "فاس من خلال المخطوطات التونسية"، مجلة المغرب، الرباط، ع.م7-8، ديسمبر 1965، ص8.

[61]- ابن عبد القادر العربي المشرفي المعسكري، ياقوتة النسب الوهاجة في التعريف بسيدي محمد بن علي مولى مجاجة، تح: حمدادوا بن عمر، العربي بوعمامة، كتاب ناشرون، بيروت-لبنان، 2012، ص78-79.

[62] - اشتهرت فاس بقضاتها، وذاع صيتهم إلى بلاد المشرق، فكانت النوازل المستعصية ترد إليهم من الجزائر وتونس، وكان قضاة فاس يجتهدون ويتبارون في الإجابة عليها، وبعض هذه النوازل كانت محل شغل القضاة والعلماء الّذين كانوا يتراسلون فيما بينهم من أجل تبيان صحة الفتوى، وما يؤكد على شهرة قضاة فاس هو ما كان وما يزال جاريا على ألسنة علماء تونس بخصوص النوازل العويصة حيث يقولون: "هذه نازلة لا يحلها حتى قاضي فاس"، وفي ذلك اعتراف بضلاعة قضاة فاس وسعة اطلاعهم. ينظر: أحمد ابن شقرون، أرجوزة من زهرة الآس عن جامع القرويين بفاس عبر القرون، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المغرب، 1994، ص45.

[63]- وهي: ابن أبي زرع، روض القرطاس، والجزنائي، زهرة الآس، وإبن القاضي، جذوة الاقتباس، والسلاوي، الاستقصا.

[64]- يذكر ابن أبي زرع أنّه أتى وفد من القيروان إلى يحيى بن محمد بن إدريس في جمع كثير بعيالهم وأولادهم، فأنزلهم بعدوة القرويين، وكانت فيهم إمرأة مباركة صالحة اسمها فاطمة وتكنى أم القاسم بنت محمد الفهري القيرواني، أتت نت إفريقيا مع أختها وزوجها فسكنوا بالقرب من موضع الجامع المذكور، فتوفي زوجها وأختها فورثت منهما مالا جسيما، فأرادت أن تصرفه في وجوه البر وأعمال الخير، فعزمت على بناء مسجد تجد ثوابه في الآخرة، فاشترت موضع القرويين، وبنت عليه الجامع. للتفصيل أكثر ينظر: ابن أبي زرع، المصدر السابق، ص75.

[65] - عبد الهاي التازي، "أحد عشر قرنا في القرويين"، مجلة دعوة الحق، المرجع السابق، ع9، السنة الأولى، مارس 1958، ص24-28.

[66]- الجزنائي، المصدر السابق، ص25. وكذلك: ابن القاضي، المصدر السابق، ج1، ص52.

[67]- ابن أبي زرع، المصدر السابق، ص78.

[68]- الجزنائي، المصدر السابق، ص54. وكذلك: عبد الوهاب التازي، "تاريخ جامعة القرويين..."، المرجع السابق، ص71.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

[69]- ابن القاضي، المصدر السابق، ج1، ص50.

[70]- عبد الله طويلب، "التواصل الثقافي بين بني مرين وبني نصر"، مجلة قرطاس الدراسات الحضارية والفكرية"، جامعة تلمسان، م1، ع1، سبتمبر 2012، ص136-147.

[71]- الحسن السائح، المرجع السابق، ص256.

[72]- الحسن الوزان، المصدر السابق، ص255.

[73]- محمد ابن مرزوق التلمساني، المسند الصحيح الحسن في مآثر ومحاسن مولانا أبي الحسن، تح: ماريا خيسوس بيغيرا، تق: محمود بوعياد، ش.و.ن.ت، الجزائر، 1981، ص273.

[74]- نفسه، ص272.

[75] - معلمة المغرب، المرجع السابق، م11، 2000، ص3544.

[76] - الصفارين: نسبة إلى السوق الّذي تصنع فيه أواني النحاس الأصفر. ينظر: ابن مرزوق، المصدر السابق، ص272.

[77] - الناصري، المصدر السابق، ج3، ص، 54.

[78] - ابن مرزوق، المصدر السابق، ص273.

[79] - محمد عبد الحي الكتاني، المرجع السابق، ص83.

[80] - ابن مرزوق، المصدر السابق، ص273.

[81] - محمد عبد الحي الكتاني، المرجع السابق، ص91.

[82]- يقصد بها وجود كرسي مصنوع عادة من الخشب، يصعد فوقه العالم ليتمكن من إلقاء درسه وخاصة في الحلقات الّتي كان عدد الحضور فيها غفيرا. ولم تكن ولاية الكرسي العلمي أمرا عاديا، بل هي من المراتب السامية الّتي يستلزم الوصول إليها التوفر على شروط ومؤهلات علمية وأخلاقية لا تقل أهمية عن منصب القضاء والفتوى.

[83]- الحسن الوزان، المصدر السابق، ص223-224.

[84] - عبد الهادي التازي، جامع القرويين المسجد والجامعة بمدينة فاس-موسوعة لتاريخها المعماري والفكري-، م2، دار المعرفة للنشر والتوزيع، الرباط-المغرب-، 1972، ص450.

[85]- الحسن الوزان، المصدر السابق، ص227.

[86] - محمد حجي، الحركة الفكرية بالمغرب في عهد السعديين، ج2، منشورات د.م.ت.ت.ن، مطبعة فضالة، المحمدية-المغرب، 1978، ص349.

[87] - الوفراني، المصدر السابق، ص160-165.

[88] - روجي لوطورنو، المرجع السابق، ص122.

[89] - محمد حجي، الحركة الفكرية...، المرجع السابق، ص363.

[90] - محمد بن الطيب القادري، المصدر السابق، ج1، ص262.

[91]- نفسه، ص380.

[92]- التسمية الّتي أطلقها روجي لوطورنو على هذه المرحلة. ينظر: روجي لوطورنو، المرجع السابق، ص119.

[93]- بويع بعد مقتل أخيه محمد بن الشريف عام 1075هـ/ 1664م، توفي سنة 1082هـ/ 1671م. ينظر: الوفراني، المصدر السابق، ص201-202.

[94]- وتسمى كذلك بالمدرسة الرشيدية، نسبة إلى مؤسسها، وكان لها ثلاثة أبواب، واحدة منها مقابلة للقرويين. ينظر: محمد بن الطيب القادري، المصدر السابق، ج2، ص191. وكذلك: محمد عبد الحي الكتاني، المرجع السابق، ص85-86.

[95]- روجي لوطورنو، المرجع السابق، ص128.

[96]- عبد الرحمان ابن زيدان، الدرر الفاخرة بمآثر الملوك العلويين بفاس الزاهرة، المطبعة الاقتصادية، الرباط-المغرب، 1937، ص68-71.

[97]- كان له اعتناء بأمور العلم، ويعد ثاني المؤسسين لنظام التدريس بالقرويين. للتفصيل أكثر ينظر: المصدر نفسه، ص79.

[98]- محمد الأخضر، الحياة الأدبية في المغرب على عهد الدولة العلوية، 1664-1894م، دار الرشاد الحديثة، الدار البيضاء-المغرب، 1977، ص395.

[99]- كان إدخال المطبعة بمبادرة فردية من قبل محمد الطيب التملي الروداني قاضي تارودانت، اشتراها من المشرق بعد أدائه لفريضة الحج، وقدمها إلى السلطان كهدية، وصارت بذلك تسمى بـ"المطبعة السعيدة" أو "المطبعة المحمدية" نسبة إلى السلطان محمد الرابع، وانتقل مقرها

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

من مكناس إلى فاس حيث كان مقر السلطان. للتفصيل ينظر بالتفاصيل عن تأسيسها ونشاطها: محمد المنوني، مظاهر يقظة المغرب الحديث، ج1، مطبعة الأمنية، الرباط-المغرب، 1973، ص201-215

[100]- عمار هلال، العلماء الجزائريون في البلدان العربية الإسلامية فيما بين القرنين التاسع والعشرين الميلاديين (3/ 14هـ)، د.م.ج، الجزائر، 2010، ص105-106.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com